

الأسلوب النبوي في القيادة العسكرية

الدكتور/ عبدالله بن محمد الرشيد
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعيه ونستغفره ونستهديه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }^(١).

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }^(٢).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }^(٣).

والصلاة والسلام ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الذي ضرب لأمته المثل الأعلى في الشجاعة والبسالة حتى حقق الله على يديه النصر على أعدائه وبعد:

فإن الله - سبحانه وتعالى - جعل رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم -

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠ و ٧١.

أسوة لأمتة فقال - سبحانه وتعالى - {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (١). ومن ذلك التأسى به في حياته العسكرية ونظراً لكثرة المواقف العسكرية التي يمكن أن يستفيد منها المسلمون في هذا العصر فإن رغبت في الكتابة في هذا الموضوع المهم، وقد جعلته في الموضوعات التالية:

الموضوع الأول: المقومات الذاتية للقيادة.

الموضوع الثاني: ضرورة وجود القيادة.

الموضوع الثالث: مبادئ وجود القيادة.

الموضوع الرابع: أصناف القيادة العسكرية.

الموضوع الخامس: الدروس القيادية العسكرية المستفادة من أسلوب النبي -

صلى الله عليه وسلم - في معركة بدر الكبرى.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه،،،

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

تمهيد: معنى القيادة لغة واصطلاحاً

القيادة في اللغة: مصدر من قاد يقود، يقال: قاد الجيش قيادة إذا رأسه ودبره، والقود نقيض السَّوق، فالقود من أمام، والسَّوق من خلف، وبهذا يتبين لنا أن من المعاني اللغوية لكلمة (القيادة) القيام على أمر الجيش وتدبير شؤونه^(١).

والقيادة في الإصطلاح: هي الإدارة العسكرية التي تهيمن على الجنود وتوجههم نحو هدف معين، بطريقة تضمن با طاعتهم، وثقتهم، واحترامهم، وولاءهم، وتعاونهم^(٢).

الموضوع الأول: المقومات الإسلامية الذاتية للقيادة

للقيادة في الدين الإسلامي مقومات ترتكز عليها وتتلخص فيما يأتي:

المقوم الذاتي الأول: الإيمان.

ويقصد بالإيمان عند أهل السنَّة والجماعة: إقرار باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقد دلَّ على ذلك كتاب الله - سبحانه وتعالى وسنة رسولة - صلى الله عليه وسلم:

-
- (١) انظر لسان العرب ٨٤/٣: لابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط.
القاموس المحيط ٣٤٣/١: للفيروزآبادي (ط٣، سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر).
المعجم الوسيط ٧٧١/٢، قام بإخراجه الأساتذة: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، وأشرف علي طبعه عبد السلام هارون.
تاج العروس من جواهر القاموس ٤٧٧/٢: تأليف محمد مرتضى الزبيدي.
- (٢) انظر الجيش العربي الإسلامي في التخطيط السوقي الاستراتيجي للرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، ص ٧٣، تأليف مقدّم درع حازم إبراهيم العارف (دار الرشيد للنشر والتوزيع الرياض، ط. مطابع المدينة - الرياض، سنة ١٤٠٣هـ).
والمدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ٢٧٥: للواء محمد جمال الدين علي محفوظ.

أما الدليل من الكتاب العزيز فهو قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (١).

وأما الدليل من السنة فهو ما رواه عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - عن أبيه قال: بينما نحن جلوس عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .. قال: فاخبرني عن الإيمان قال: (تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: [صدقت الحديث]) (٢).

وقد تجلى هذا المقوم الذاتي في قوة إيمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - بربه وثقته في نصره ووعده وذلك عند ما قال لعمه أبي طالب حين عرض عليه مطالب قريش حتى يتخلى عن القيام بالدعوة : (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته) (٣).

وقد وردت نصوص من القرآن الكريم في هذا المعنى في حق الرسول -

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله - سبحانه وتعالى وبيان الدليل على ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه ورقمه (١) ٣٦/١-٣٨.

(٣) السيرة النبوية ٢٦٦/١ لابن هشام حققها وضبطها وشرحها وضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي.

صلى الله عليه وسلم - منها قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} (١).
وقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} (٢). وقوله
تعالى: {وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} (٣).

فهذه النصوص القرآنية وما ورد في سيرته - صلى الله عليه وسلم -
تدل على وجود هذا المقوم الذاتي في شخص الرسول القائد - صلى الله عليه
وسلم - .

المقوم الذاتي الثاني: العلم

المراد بالعلم هنا إحاطة القائد علماً بكل ما ينفعه في دنياه وأخراه، وأن
يحرص على اكتساب المعارف والمعلومات، والخبرات، والمهارات، والقدرات،
التي تمكنه من تفهم الحياة من حوله والاستفادة من إمكانياته المادية، والبشرية،
واستثمارها وتوجيهها لما فيه خيره وسعادته وخير وسعادة مجتمعه.

وهذا المقوم من ألزم الضرورات لنجاح القائد وتمكينه من ممارسة
مسؤولياته القيادية (٤).

وقد شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يبعث رسوله محمداً - صلى الله عليه
وسلم - أمياً لا يقرأ ولا يكتب كما قال تعالى عنه {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (٥). ولكن الله علمه علم الأولين والآخرين
عن طريق الوحي فلم يكن بحاجة إلى قراءة وكتابة ليتعلم ، وإنما جعلت أمية
النبي تحصيماً للقرآن حتى لا يدعي مدعٍ ويفتري مفترياً إن محمداً كتب القرآن

(١) سورة الزمر، الآية ١٤.

(٢) سورة الزمر، الآية ١١.

(٣) سورة الزمر، الآية ١٢.

(٤) انظر: القيادة الإدارية في الإسلام، ص ١٥١. تأليف عبدالشافى محمد أبو العينين أبو الفضل.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

وخطه بيمينه.

وقد كان هذا المقوم واحداً من المقومات الأساسية في شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن هذه النصوص قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (١). وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله - سبحانه وتعالى - بأن يزيده علماً وذلك فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه - قال (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (اللهم أنفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال) (٢).

وقوله تعالى: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} (٣).

المقوم الذاتي الثالث: الفصاحة والبيان:

الفصاحة ملكة تعين صاحبها على حسن التعبير عن المقصود في سهولة ويسر (٤).

تعد الصحة والقدرة على البيان من أهم المقومات المطلوب توافرها في القيادة لأن من أهم الواجبات الملقاة على عاتق القائد قيامه بإبلاغ الجماعة المسؤول عنها بمضمون الرسالة إليهم من قبل السلطة العليا والعمل على

(١) سورة طه، الآية ١١٤.

(٢) هذا الحديث رواه ابن ماجه بهذا اللفظ في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به ورقمه (٢٥١) سنن ابن ماجه ٩٢/١.

وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب (١٢٩) في العفو والعافية ورقمه (٣٥٩٩) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه سنن الترمذي (الجامع الصحيح (٣٥٩٩)، ٥٤٠/٥.

(٣) سورة النساء، الآية ١١٣.

(٤) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ص ١٢٨، للإمام محمد بن يوسف الصالحي.

توضيح وتفسير تلك الرسالة وإقناعهم بقبولها^(١).

وقد كان الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - متحلياً بالفصاحة والبيان والبيان ما أوحاه الله - سبحانه - إليه.

قال القاضي عياض - رحمه الله -: وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلامة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع وناصعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف ...^(٢).

وقد وردت آيات من القرآن الكريم تبين وجود هذا المقوم في شخص النبي القائد - صلى الله عليه وسلم - ومنه ذلك قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} ^(٣).

وقال الله - سبحانه وتعالى - على لسان موسى عليه السلام أنه قال: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} ^(٤). فهذه الآية الكريم حجة ظاهرة تدل على مدى أهمية الفصاحة والقدرة على البيان وإنهما يمثلان مقوماً أساسياً من مقومات نجاح القائد في أداء مهمته، ويلحظ - أيضاً - من هذه الآية أنه يجوز للقائد - عند الضرورة - أن يستكمل النقص الذي لديه في ملكه من الملكات أو قدرة من القدرات أو مقوم من المقومات عند طريق الاستعانة بالأعوان أو المستشارين أو المساعدين الأكفاء كما فعل هارون

(١) انظر: القيادة الإدارية في الإسلام، ص ١٥٦.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ٤٤/١ للقاضي إلى الفضل عياض بن

موسى البيهقي الأندلسي.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٢.

(٤) سورة القصص، الآية ٣٢.

مع موسى - عليهما السلام - (١).

المقوم الذاتي الرابع: التحلي بالأخلاق الحسنة:

الخلق لغة: السجية والخفة تعني الفطرة (٢). وعلى ذلك يكون المراد بحسن الخلق حسن السجية التي هي من الفطرة (٣). وحسن الخلق يشمل أنواعاً كثيرة أهمها ثلاثة هي :

الأول: كظم الغيظ.

الثاني: لين الجانب.

الثالث: التواضع (٤).

وقد شبَّ النبي القائد - صلى الله عليه وسلم - مفطوراً على حسن الخلق مكلوئاً بحفظ الله ورعايته منذ الصغر وما إن بلغ سنَّ الرجولة حتى كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق السيئة التي تدنس الرجال حتى سمي في قومه بالأمين (٥).

وقد وردت آيات في كتاب الله - عز وجل - تبين وجود هذا المقوم الذاتي في شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومنها قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٦).

ويلحظ من هذه الآية الكريمة أمران:

- (١) انظر، القيادة الإدارية في الإسلام، ص ١٥٩.
- (٢) انظر: مختار الصحاح - باب الخاء - ص ١٨٧. تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي.
- (٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨٧.
- (٤) انظر: مختصر شعب الإيمان، ص ١٩٦-١٩٧. للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
- (٥) انظر: السيرة النبوية، ١/١٦٧.
- (٦) الآية ٤ من سورة القلم.

الأول: عظم خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلفظ (على) من العلوّ، والعلوّ يعني الفوقية والشرف والسمو^(١).

الثاني: أن هذا العلو والسمو الأخلاقي كان فطرة متأصلة في الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - الذي اختاره الله - سبحانه وتعالى - عن علم لتحمل رسالته وتبليغها للعالمين.

وهذا الخلق العظيم هو أحد المقومات الأساسية التي جعلت المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أهلاً لقيادة الإنسانية وأن تكون قيادته - صلى الله عليه وسلم - نموذجاً وقُدوةً لأُمَّته إلى قيام الساعة^(٢). ومن الآيات الواردة في شأن هذا المقوم الذاتي قوله سبحانه وتعالى: في حق نبيه - صلى الله عليه وسلم - {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} ^(٣).

وقوله - سبحانه وتعالى -: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} ^(٤).

وقد سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: كان خلقه القرآن^(٥).

(١) انظر: مختار الصحاح (باب العين) ص ١٥٢.

(٢) انظر: القيادة الإدارية في الإسلام، ص ١٦١.

(٣) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

(٥) هذا الحديث أخرجه بن أبي شيبه في مصنفه ٢١٤/١٤ وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير ٣٩٢/٢ وقال: صحيح الأستاذ ولم يخرجاه.

المقوم الذاتي الخامس: الانتماء

الانتماء هو الانتساب والانتساب إنما يكون للأصول أو الجذور أو المنبت، ومن ذلك انتساب المرء لأبيه أو لأسرته ولجماعته وقومه.

وهذا المعنى يتفق تماماً مع الأنتماء باعتباره أحد المقومات الذاتية الرئيسية التي تؤهل المرء لقيادة أي جماعة من الجماعات والفطرة السليمة تقر ذلك وتأخذ به، فقيادة الأسرة في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلى الأب الذي يمثل قمة الانتماء في الأسرة فإليه تنتمي الفروع ومن ثم تلقي إليه زمام قيادتها راضية آمنة مطمئنة واثقة بحرصه عليها وأنه يسعى إلى تحقيق تحقيق ما فيه خيرها.

ولهذه الأسباب كان انتماء المرء إلى جماعة من الجماعات أحد المقومات الأساسية الواجب توافرها في الفرد ليكون أهلاً لقيادة أي جماعة من الجماعات^(١).

وقد كان هذا المقوم الذاتي موجوداً في شخص الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، بل جمع إلى الانتماء شرف النسب فقد كان من أنبل وأشرف قومه نسباً - صلى الله عليه وسلم - .

وقد دلّ على ذلك عدد من آيات القرآن منها: قوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ^(٢). وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ

(١) انظر: القيادة الإدارية في الإسلام، ص ١٦٣، وما بعدها..

(٢) الآية ١٦٤، من سورة آل عمران.

لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { (١) . وقوله تعالى: { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ { (٢) .

وقد وردت شواهد من السيرة النبوية في هذا المعنى منها قوله صلى عليه وسلم (أنا أعزبكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر)، وقوله - صلى الله عليه وسلم - (أنا أعرب العرب ولدت في قريش ونشأت في بني سعد) (٣) .

وهذا الانتماء يشتمل على الجوانب التالية:

- ١ - الانتماء العرقي.
- ٢ - الانتماء اللغوي.
- ٣ - الانتماء الاجتماعي.
- ٤ - الانتماء الزماني والمكاني (٤) .

المقوم الذاتي السادس: الرجولة:

الرجولة من الرجل وهو ضد المرأة ويقال للإنسان رجل إذا هو احتمل وشب.

والرجل في اللغة: هو الكامل أيضاً.

والرجولة في الإسلام تعدّ واحداً من المقومات الأساسية الواجب توافرها في المرء وليكون أهلاً للقيادة وقد ورد عدد من النصوص في القرآن الكريم في حق

(١) الآية ٢، من سورة الجمعة.

(٢) الآية ٢، من سورة يونس.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ١٣٦/٢.

(٤) انظر: القيادة الإدارية في الإسلام، ص ١٦٧.

الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - منها قوله تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ} (١). وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٢). فقد دلت هذه الآيات الكريمة على أن الأنبياء ومنهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - كلهم رجال والمقصود بالرجولة هو كمالها وهو بلوغ الرجل سن الأربعين.

وقد ورد في سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما يدل على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء) (٣). وقوله: - صلى الله عليه وسلم - في معرض بيانه لولاية الرجل على من تحت يده (والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهي مسؤولة عنهم) (٤).

ومما سبق من نصوص الكتاب والسنة يتبين أن الرجولة أحد المقومات الذاتية المطلوب توافرها في القيادة الرشيدة في الإسلام (٥).

(١) الآية ٢، سورة يونس.

(٢) الآية ٤٣، سورة النحل.

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب خلق آدم وذريته، ورقمه (٣٣٣١) صحيح البخاري ص ٥٥٣.

وأخرجه مسلم في كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء ورقمه (١٤٦٨)، صحيح مسلم ١٠٩١/٢.

(٤) هذا الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأحكام باب قول الله تعالى: أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) ورقمه (٧١٣٨) صحيح البخاري، ص.

(٥) انظر: القيادة الإدارية في الإسلام، ص ١٧٠.

المبحث الأول

الموضوع الثاني: ضرورة وجودها

يُعدّ وجود القيادة لأي جماعة أمراً ضرورياً حتى ينتظم أمرها، وفي ذلك يقول ابن خلدون: (ثم إنّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر، وتم عمران العالم لهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم، فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحداً منهم ويكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة. وقد تبين لك بهذا أن للإنسان خاصة طبيعية ولا بد لهم منها، وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم — على ما ذكره الحكماء — كما في النحل والجراد لما استقرئ فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خلقه وجثمانه إلا أن ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية، لا بمقتضى الفكرة والسياسة) (١).

ويذكر الكاساني سبب تلك الضرورة فيقول: (إن مما يُندب إليه الإمام عند تسيير الجيش: أن يؤمّر عليهم، لأن الحاجة إلى الأمير ماسّة، لأنه لا بد من تنفيذ الأحكام وسياسة الرعيّة، ولا يقوم ذلك إلا بالأمير لتعذر الرجوع في كل حادثة إلى الإمام) (٢).

وقد دلت السنة القولية والفعلية على تلك الضرورة:

أما دلالة السنة القولية على ذلك: ففي الحديثين الآتيين:

الأول: عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣: للعلامة عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٤٣٠٣/٩: لأبي بكر بن مسعود الكسائي.

(إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) (١).

الثاني: عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يحل لثلاثة يكونون بأرض فلاة) (٢)، إلا أمروا عليهم أحدهم) (٣).

وجه الاستدلال بهذين الحديثين:

في الحديث الأول: أمر لأي جماعة بأن تؤمّر واحداً منها عليها (فليؤمروا) والأمر إذا أطلق يقتضي الوجوب عند جمهور الأصوليين.

وفي الحديث الثاني: نفي صلى الله عليه وسلم الحل عن ترك التأمير، ونفي الحل يدل على التحريم.

ويعلق الشوكاني رحمه الله على هذين الحديثين بقوله: (وفيها دليل على أنه

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، ح (٢٦٠٨)، سنن أبي داود ٨١/٣.

وقد ذكره النووي في رياض الصالحين، باب استحباب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحداً بطيعونه، ص ٤٠٢، حققه وخرّج أحاديثه عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، راجعه شعيب الأرنؤوط. قال المناوي في فيض القدير: رواه أبو يعلى والبيهقي والحديث في درجة الحسن، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أبي داود في كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون، ح (٢٦٠٩)، وسنده حسن، انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٣٣/١: للعلامة المناوي.

(٢) الفلاة: هي الأرض المستوية التي ليس بها ماء ولا أنيس. انظر، لسان العرب ١١٣/٣، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١٣٧/٢، تأليف العلامة أحمد بن محمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، بتصحيح مصطفى السقا.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٧٧/٢، ولفظه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ولا يحل أن ينكح المرأة بطلاق أخرى، ولا يحل لرجل أن يبيع على بيع صاحبه حتى يذره، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة يتتاجى أثنان دون صاحبهما). وإسناده صحيح، انظر المسند، تحقيق أحمد شاکر ١٧٤/١٠،

وأخرج الحاكم نحواً من معناه في كتاب المناسك، بلفظ: عن زيد بن وهب، قال عمرو: (إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ذلك أمير أمره الرسول صلى الله عليه وسلم). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرک على الصحيحين ٤٤٣/١، ٤٤٤: للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، وبنيته: التخليص للحافظ الذهبي.

يُشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم، لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلف، فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه، ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون، ومع التأمير يقل الخلاف وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون الأرض والأمصار ويحتاجون لدفع النظام وفصل التخاصم أولى (وأحرى) ^(١).

ويقول اللواء جمال الدين محفوظ في ضرورة وجود هذه القيادة: (القيادة ظاهرة اجتماعية، ذات جذور عميقة، تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي، ومشاركته لمن حوله في مجتمعه، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يوجد نوعاً من الحاجة إلى من ينظم العلاقات القائمة بينهم، وفي هذه الحالة يتولى القيادة وحد منهم، وهكذا يرى علم النفس: أن طبيعة الحياة تجعل من حاجتنا إلى قادة أمراً لا بد منه، وأنه لا تكون جماعة إلا ويجب أن يكون لها قائد) ^(٢).

أما دلالة السُّنة الفعلية: فإنه بتتبع غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، يتبين أنه -صلى الله عليه وسلم- كان قائد الجيش وكانت مقاليد المعركة في يده وحده، كما أنه داوم على تأمير الأمراء في السرايا التي كان يبعثها، لتنفيذ وظائف عسكرية معينة ^(٣).

قال في شرح السير الكبير: (وإنما يجب التأمير اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه داوم على بعض السرايا، وأمر عليهم في كل مرة، ولو جاز تركه لفعله مرة تعليماً للجواز).

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ٢١٣/٨: للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني.

(٢) المدخل إلى العقيدة و الاستراتيجيات العسكرية الإسلامية ص ٢٧٤.

(٣) انظر العبقريات العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٦٧٠، وبحوث ودراسات عسكرية، ص ٤٠: للعميد الركن يوسف إبراهيم السُّلوم.

ولأنهم يحتاجون إلى اجتماع الرأي والكلمة، وإنما يحصل ذلك إذا أمر عليهم بعضهم، حتى إذا أمرهم بشيء أطاعوه في ذلك^(١).

الموضوع الثالث: مبادئ القيادة العسكرية

للقيادة العسكرية مبادئ أساسية تقوم عليها وهي: على النحو التالي:

١ - معرفة القائد نفسه:

تعدّ معرفة القائد نفسه من المبادئ الأساسية للقيادة، إذ إن القائد الذي لا يعرف مواطن القوة والضعف في نفسه، ولا يعرف قدراته التي يتميز بها عن غيره لا يمكن أن يكون قائداً ناجحاً، وفي ذلك يقول عبدالنواب هديب: (إن من واجب كل قائد أن يعرف مواطن القوة والضعف في نفسه، فالفرد الذي لا يعرف قدراته وإمكانياته وحدوده ... لا يُرجى منه أن يكون قائداً، وكذلك الفرد الذي يدرك نواحي نقصه، ولكنه لا يقوم بإصلاحها، سوف يفشل في عمله) (٢).

ولهذه المعرفة أثر على شخصية القائد حيث يمكنه أن يقف على جوانب القوة في نفسه، فيتعاهد بها بالمحافظة والرعاية، وأن يقف على جوانب الضعف فيبادر بعلاجها وإصلاحها^(٣).

وهناك أمر جدير بالملاحظة فإن من يجهل نفسه التي بين جنبيه فهو لنفوس جنوده وخصائصهم أكثر جهلاً. وهذا الأمر له أثر سلبي في علاقة هذا القائد مع جنده. وإن أفضل أسلوب لمعرفة النفس والوقوف على مواطن القوة والضعف

(١) شرح السير الكبير ٦٠/١، تأليف الشيخ محمد بن الحسن الشيباني، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق الدكتور/ صلاح الدين المنجد.

(٢) القيادة ص ١١٣: لعبدالنواب هديب والدكتور السيد محمود زكي.

(٣) انظر: إغاثة اللفان من مصاديق الشيطان ٧٨/١: للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، وإتحاف السادة المنقذين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للزبيدي المشهور بمرتضى، والمدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٩٥، والقيادة ص ١٣١.

فيها طريقان:

الأول: أن يختار صديقاً مخلصاً بصيراً بعيوبه مطلعاً على خفايا أحواله وينصبه رقيباً على نفسه^(١). وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ذلك ويقول: (إن أحب الناس إليّ من أهدى إليّ عيوبي)^(٢).

الثاني: محاسبة النفس وفي ذلك يقول ابن القيم -رحمه الله-: وفي محاسبة النفس عدة مصالح منها الإطلاع على عيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته^(٣).

والدليل على ذلك ما أخرجه ابن حبان في حديث طويل عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (... وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته في المطعم والمشرب)^(٤).

٢ - معرفة القائد عمله:

يُعدّ توافر هذا المبدأ في القيادة العسكرية أمراً مهماً ويقرر الخبراء العسكريين أنه يتعين على القائد أن يكون على مستوى عال من العلم والمعرفة لعمله.

(١) انظر: اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار أحياء علوم الدين ٣٤٩/٧.

(٢) انظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ١٥٢: لأبي الفرح عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق الدكتورة زينبت إبراهيم القاروط،

(٣) إغائة اللفهان من مصايد الشيطان، ٨٤/١، للإمام ابن قيم الجوزية.

(٤) الحديث أخرجه ابن حبان في كتاب العلم، باب السؤال للفائدة، ح (٩٤)، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ص ٥٣، وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الفساني عن أبيه عن جده، قال الطبراني: لم يرو هذا عن يحيى إلا ولده وهم ثقات، وقد ذكر ابن حبان إبراهيم بن هشام الغساني في الثقات. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٧٢/١، ٧٣: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محد علي البجاوي.

وفي ذلك يقول عبدالنواب هديب: (المعرفة القائد عمله تماماً يلزم أن يكون ملماً إماماً واسعاً بنواحي عمله، سواء النواحي الفنية أم العملية، كما يتطلب ذلك أيضاً إماماً بموضوعات ووسائل التنظيم، والشؤون الإدارية والتعليمات والموضوعات التي لها علاقة بفن الحرب وإدارة الرجال .. وأن يكون كثير الإطلاع ليقف أولاً بأول على أحدث الوسائل والتطورات في فنون عمله^(١)).

بالإضافة إلى التمرين والتدريب العملي في كل ما يتعلق بتخصصه، ولا تقتصر هذه المعرفة على النواحي العسكرية فسحب، بل ينبغي أن تشمل العلوم الطبيعية والاجتماعية، مثل الرياضيات، والفيزياء، والإحياء، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ^(٢).

٣ - معرفة القائد جنوده:

تعدّ معرفة القائد جنوده أمراً مهماً حتى يمكنه استغلال طاقاتهم ووضع كل واحد منهم في المكان الذي يناسبه. وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف مزايا أصحابه، وفي ذلك يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: (وكان عليه أفضل الصلاة والسلام يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة، وكان يعرف ما يمتاز به كل صحابي من مزايا تفيد المجتمع الإسلامي الجديد، وكان يستغل تلك المزايا لخير هذا المجتمع وللمصلحة العامة العليا للمسلمين)^(٣).

ويذكر أهل التجربة والخبرة بالحروب أنه يتعين على قائد الجيش أن يعرف مزايا أصحابه، حكى يحصل على الغرض المطلوب من كل واحد مهم. وفي ذلك يقول الأنصاري رحمه الله: (ينبغي لصاحب الجيش أن يعرف ما أستطاع

(١) الفيدة: ص ١١٣.

(٢) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ٢٠٥، ٢٢٨، ٢٩٤.

(٣) انظر: الإسلام والنصر ص ١٦٦: اللواء الركن محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ٤٤١، ومضات من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص ٥٦: اللواء الركن محمود شيت خطاب.

معرفة عن أصحابه وجنده واحداً بخاصته، وما يعنيه من أنواع الحرب وما يختص به من الشجاعة والجبن، وسائر أحواله، وأن يعرف مراتب الشجعان، وما يتعاناه كل منهم في شجاعته، فإن منهم الشجاع الثابت الملازم لمواقفه، المصمم على خصمه، ومنهم الشجاع الكرّار الفرّار، الذي يذهب ويأتي، ومنهم الشجاع الجايل^(١) على الأقران الذي لا يجعل له خصماً بعينه، بل أينما لاحت له الفرصة انتهزها، ومنهم من يجيد القتال فارساً، ومنهم من يجيد الطعن بالرمح، والذي يجيد الرمي بالسهم، ومنهم الجبان الذي يتشبه بالشجعان في زيهم، والجبان الظاهر الجبن، وغير ذلك من صفات الشجاعة والجبن، فإنه إذا عرف كل واحد ممن هؤلاء بصفته أنزله في الحرب منزلته وأقامه فيما يليق فيه، فحصل على الغرض المطلوب منه^(٢).

وبهذا تتبين ضرورة وجود هذا المبدأ في القائد العسكري حتى يمكنه توظيف طاقات جنوده فيما يحقق المصلحة العامة.

٤ - توضيح الأهداف للجنود ومداومة إعلامهم بها:

يُعدّ وضوح الهدف من القتال في ذهن الجندي سبباً قوياً في رفع روحه المعنوية وإقدامه على القتال، صابراً محتسباً.

والهدف الذي يقاتل الجندي المسلم من أجله كان واضحاً في أذهان الصحابة - رضوان الله عليهم - لارتباطهم بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

(١) الجايل: هو الزائل عن مكانه. يقال: جال الرجل: إذا انكشف ثم كرّ ثانية، وسُمي الشجاع بذلك لأنه لا يثبت للقتال في مكان واحد، بل يطارد خصمه كلما وافته الفرصة المناسبة لذلك. انظر: لسان العرب ٥٣٦/١.

(٢) تفريج الكروب في تدبير الحروب ص ٤٣، تأليف الشيخ عمر بن إبراهيم الأنصاري، تحقيق وترجمة د. جورج سكانلون. وانظر: مختصر في سياسة الحروب ص ٥٣، ٥٤: للهرثمي صاحب المأمون، تحقيق عبدالرؤوف عون، مراجعة مصطفى زيادة، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ٢٩٥ - ٢٩٦؛ القيادة ص ١١٣، ١٣٢،

فقد خطب الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: {قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا فَنَرَبِّصُوا إِنَّنَا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ} (١)، والمراد بالحسينيين هنا: النصر والظفر في الدنيا، أو الفوز بالشهادة (٢).

كما وعد سبحانه من قُتِلَ في سبيله أو انتصر بالأجر العظيم، فقال: {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (٣).

ومن ثمرات وضوح الهدف لدى الصحابة رضوان الله عليهم: ما حدث يوم بدر من تلك البطولات التي تمثلت في حرصهم على الشهادة في سبيل الله.

وسوف أذكر في هذا المقام نماذج منها:

* عندما حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه على الجهاد بقوله: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)، قال عمر بن الحمام: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: (نعم)، قال: بخ بخ (٤)، فقال رسول الله: (ما يحملك على قولك بخ بخ؟) قال: لا والله يا رسول، إلا! رجاء أن أكون من أهلها، قال (فإنك من أهلها). فأخرج تمراتٍ من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان

(١) سورة التوبة: الآية ٥٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٦٢/٢: للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٤.

(٤) بخ بخ: فيها لغتان: إسكان الخاء، وكسرها منونته، وهي كلمة تقال عند الفرح والرضى بالشيء وتكرارها للمبالغة، وتقول: بَخَّخْتُ الرجل: إذا قلت له ذلك ومعناه: تعظيم الأمر وتقديره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٠١: لأبي السعادات المبارك بن محد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ومحمود محمد الطناحي، وصحيح مسلم، ٣/١٥١٠: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وتصحيح وترقيم الشيخ محمد فواد عبدالباقى.

معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتِلَ^(١).

* وعن أبي بكر بين عبدالله بن قيس عن أبيه، قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، فقام رجل رثَّ الهيئة، فقال: يا أبا موسى: أنت سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هذا؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتِلَ^(٢).

* وعندما تخوف المسلمون من قتال الروم في مؤتة وضَّح لهم أحد المرشحين لقيادة هذه السرية (عبدالله بن رواحة) الهدف من القتال، فشجعهم ذلك على المضي لقتال أعدائهم.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه، قال: (... ثم خرج القوم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيِّعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

خلف السلام على أمرئ ودعته في النخل غير مودع وكليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان - من أرض الشام - فبلغهم أن هرقل في مآب^(٣). من أرض البقاء في مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليه المستعربة من: لحم وجذام وبلقين بوهرام وبلى، في مائة ألف عليهم رجل بلي أخذ رأيهم يقال له (ملك بن زانة)، فلما بلغ ذلك المسلمين قاموا بمعان ليلتين ينظرون من

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم الحديث (١٩٠١)، صحيح مسلم ١٥٠٩/٣، ١٥٠١١.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح (١٩٠٢)، صحيح مسلم ١٥١١/٣.

(٣) مآب: هي مدينة في طرف الشام من أرض البلقاء وقد فتحها أبو عبيدة رضي الله عنه سنة (١٣هـ) في خلافة عر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قيل: إنها سميت باسم أحد أبناء لوط عليه السلام. انظر: معجم البلدان ٣١/٥، ١٥١/٤.

أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فيما أن يمدنا، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

فشجع عبدالله بن رواحة الناس، وقال: (يا قوم: والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وإنا لا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور أو شهادة) (١).

ومن الأمثلة - التي سبق ذكرها - يبتين أن وضوح الهدف في ذهن الجندي المسلم مبدأ ضروري من مبادئ القيادة العسكرية.

وقد كان وضوح الهدف من القتال لدى الصحابة - رضوان الله عليهم - سبباً قوياً في حرصهم على الموت أكثر من حرص أعدائهم على الحياة، وبهذه التضحية مكن الله لهذا الدين في الأرض وأظهره على سائر الأديان.

٥ - تحمل المسؤولية وتمييزها في الجند:

يُعدّ تحمل القيادة العسكرية للمسؤولية وتمييزها في الجند مبدأ مهماً لإعداد هؤلاء الجند ليكونوا قادة المستقبل.

يقول القائم مقام عبدالنواب هديب: (إن قائد أيّ تشكيل مسؤول عن كل نجاح أو فشل في تشكيله، ويجب على القائد أن يدرك ذلك ويتحمل المسؤولية لجميع عماله تحت أي ظروف، وإن أيّ محاولة للتهرب من المسؤولية يهدم روابط الولاء والاحترام الذي يجب أن يكون بين القائد ومرؤوسيه) (٢).

قد قرر الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا المبدأ بفعله، حيث قاد عدداً

(١) الحديث أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، إلا أنه مرسل، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٥٨/٦ - ١٦٠: للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، ليس بالثابت، سمع سعيد بن المسيب وجماعة، وعنه: شعبة.

(٢) القيادة، ص ١١٦.

من الغزوات التي انطوت على صور العمليات الأربع، وهي:

الدفاع، والهجوم، والمطاردة، والانسحاب.

وكان قصده بذلك (زيادة على امتثاله لأمر ربه) تنمية مبدأ المسؤولية في نفوس أصحابه الذين سيكونون قادة المستقبل^(١).

٦ - المحافظة على أرواح الجند

من المبادئ القيادية التي قررها الفن العسكري: المحافظة على أرواح الجند، ويعدّ تحققه أسمى هدف تسعى إليه القيادة العسكرية، وإن ظهر هذا المبدأ وتقريره في العهد النبوي: يعدّ سبقاً عسكرياً تميزت به قيادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في معاركه، حيث طبق الرسول -صلى الله عليه وسلم - هذا المبدأ في كل غزواته. وكان هدفه من ذلك هو الحصول على النصر بدون - أو بأقل - خسائر ممكنة في الأرواح والمعدات، وذلك بإظهار القوة لإرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعديّ على المسلمين دون تعريض أرواح الجند إلى التلف^(٢).

وذلك: أن الجند هم الحصن الواقي - بعد الله - للإسلام وأهله وإذا تعرضوا للقتل حرص العدو على إبادتهم واستئصال شأفتهم.

ويتجلى لنا تطبيق النبي - صلى الله عليه وسلم - لهذا المبدأ مما يأتي:

أولاً: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاد ثمان وعشرين غزوة ضد المشركين، وقد نشب القتال في تسع^(٣) منها فقط، بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة، ولم يحصل قتال بين الطرفين.

(١) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ٢٨٢، ٣٠٦.

(٢) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية، ص ٣٠١.

(٣) هذه الغزوات هي: (بدر، وأحد، والخندق، وبنى المصطلق، وبنى قريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف).

ثانياً: أن خسائر الغزوات التي نشب فيها القتال بين المسلمين وأعدائهم كانت قليلة جداً كما في غزوة بني المصطلق والخندق وبني قريظة والفتح، وأكثر ما وصلت إليه خسائر المسلمين في غزوة أحد، وذلك بسبب مخالفة الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كانت نسبة القتلى إلى عدد الجيش ١٠% وهي نسبة ليست كبيرة^(١).

الموضوع الرابع: أصناف القيادة العسكرية

للقيادة العسكرية صنفان:

الصنف الأول: القيادة الإرغامية: وهي التي يرغب بها القائد جنده على طاعته معتمداً على سلطة مركزه وقوة شخصيته.

الصنف الثاني: القيادة الإقناعية: وهي التي يحصل بها القائد على طاعة مرؤوسيه وهم مقتنعون بأوامره.

وذكر بعض الباحثين أن هناك صنفاً ثالثاً وهي القيادة الفوضوية وتتمثل في رئيس غائب عن جنده وهو على رأس العمل فتظهر بين الجند الآراء المضطربة وتشيع بينهم روح الاستهتار والتفكك وكثرة المفقود من الوقت والجهد والمال^(٢). ولا أرى أن هذا الصنف يتفق مع الواقع العملي للحياة العسكرية لسببين:

أولهما: أن الجند بحاجة ضرورية في كل لحظة إلى القيادة الحكيمة التي ترعى شؤونهم وتسوسهم على وجه يحقق المصلحة العامة للأمة الإسلامية ويدراً عنها الخطر.

وثانيهما: أن تولي مثل هذه القيادة شؤون الجند مفسدة محضة تلحق بالجيش

(١) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ١١٨.

(٢) انظر: القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام، ص ٣٨-٤١: للدكتور ماهر البقري.

خاصة وبالمجتمع الإسلامي عامة.

ودراء المفاصد مقدم على جلب المصالح^(١) لو كانتا متساويتين، فكيف إذا كان وجود هذه القيادة يعد مفسدة راجحة.

الفرق بين القيادتين:

يمكن أن يظهر الفرق بين القيادتين فيما يأتي:

أولاً: أن القيادة الإقناعية تجعل المرؤوسين يطيعون أوامر القائد عن رغبة واقتناع ذاتي وليس عن رهبة أو خوف. أما القيادة الإرغامية فإنها تجعل الجند يطيعون الأوامر الصادرة منها مع أنهم غير مقتفين بذلك، فهم يطيعون قائدهم خوفاً من عقابه أو طمعاً في مكانته وإحسانه.

ثانياً: أن القيادة الإقناعية تراعي الفروق الفردية فيما يتعلق بقدرات الجند العقلية والبدنية. أما القيادة الإرغامية فإنها تعامل الجنود بأسلوب واحد دون نظر إلى الفروق العقلية أو البدنية التي توجد بينهم.

ثالثاً: أن القيادة الإقناعية تجعل الجند يشعرون بالارتياح والرضا، وهذا من الأسباب القوية لرفع روحهم المعنوية التي تُعدّ أمراً ضرورياً لنجاح الجند والقادة في أداء مهماتهم العسكرية. أما القيادة الإرغامية فإنها تولد شعور عدم الرضا عند الجند. ووجود هذا الأمر يؤدي إلى انخفاض روحهم المعنوية.

رابعاً: أن القيادة الإقناعية تؤدي إلى رفع كفاءة الجند وبذلك تتحقق الأهداف التي يوجههم إليها القائد. أما القيادة الإرغامية فإنها تؤدي إلى ضعف كفاءة الجند في تحقيق الأعمال التي أرغموا عليها.

(١) انظر: هذه القاعدة في الأشباه والنظائر، ص ٩٠: للشيخ زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، وخاتمة مجامع الحقائق ص ٣١٩، لأبي سعيد محمد بن محمد الخادمي، وإيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ص ٢١٩، للشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق أبوظاهر الخطابي، ودرر الحكام شرح مجلة الأحكام ٣٦/١، (المادة ٣٠)، تأليف علي حيدر، وتعريب المحامي فهمي الحسيني.

والقيادة الحكيمة هي التي تستطيع الجمع بين أسلوب الإقناع والإرغام. فيستطيع القائد أن يقنع جنده بقبول قراراته وأهدافه التي يختارها ويستطيع أيضاً بقوة سطلته أن يرغم جنده على قبول قراراته وأهدافه. والأصل في ذلك الأخذ بالطريقة الإقناعية، أما الطريقة الإرغامية فلا تستعمل إلا عند الضرورة^(١).

وقد جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قيادته العسكرية بين الأسلوبين، ففي غزوة بدر شاور الرسول -صلى الله عليه وسلم - الصحابة ابتداءً في الخروج إلى قريش كما قبل مشورة الحباب بن المنذر حين أشار عليه بالمكان المناسب لنزول الجند. حتى قال صلى الله عليه وسلم: (يا حباب أشرت بالرأي)^(٢).

فقد سلك صلى الله عليه وسلم في هذين الموقفين أسلوب القيادة الإقناعية. وفي صلح الحديبية أصرّ الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابة صلح الحديبية لأن المصلحة العامة في ذلك الظرف كانت تقتضي سلوك الطريقة الإرغامية التي تمثلت في عدم مشاورة الصحابة في أمر الصلح^(٣).

الموضوع الخامس: الدروس القيادية العسكرية المستفادة

من أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر الكبرى

الأول: ضرورة جمع المعلومات المتكاملة عن الأعداء بشتى الوسائل:

إن معرفة جيش العدو والوقوف على أهدافه ومقاصده لها أهمية كبرى من أجل رسم الخطط الحربية المناسبة لمجابهته وصدّ عدوانه.

(١) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٢) هذا الحديث أخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر مناقب الحباب بن المنذر بن الجموح، وقد سكت عنه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرک على الصحيح ٤٢٧/٣.

(٣) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

وفي غزوة بدر قام النبي - صلى الله عليه وسلم - بجمع المعلومات عن قريش، تارة بنفسه وأخرى بغيره.

ويمكن حصر طرق الاستطلاع التي حصل بها النبي - صلى الله عليه وسلم - على المعلومات عن هذا العدو فيما يلي:

أولاً: بعثه بسيسة بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء حتى يأتيه بخبر عير أبي سفيان، فعادا وأخبراه بموعد وصول العير.

وقد حصل - رضي الله عنهما - على هذا الخبر من خلال سماعهما لكلام الجاريتين اللتين نطقتا بذلك وهما قريبان منهما، وزاد هذا الخبر توثيقاً تصديق محي بن عمرو لمن ذكرت هذا الخبر^(١).

ثانياً: قيامه - صلى الله عليه وسلم -، وبصحبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بتحرّي المكان الذي توجد فيه قريش . وقد حصل له ما أراد عندما وقف على شيخ من العرب وسأله عن المكان الذي توجد فيه قريش^(٢).

ثالثاً: استنطاق الأسيرين اللذين قبض عليهما الصحابة.

استفاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - من استنطاق هذين الأسيرين ثلاثة أمور مهمة جداً:

* الأمر الأول: عدد أفراد الجيش: من الواجب أن يعرف القائد حجم قوات أعدائه، حتى لا يبقى عنصر من عناصر المعركة مجهولاً، في ذهنه، فتشل المفاجأة تفكيره فيخسر المعركة.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٢/٢٥٤، ٢٥٥.

* الأمر الثاني: موقع قريش: حيث أشار الغلامان إلى موقعهما وبهذه المعلومات عرف الرسول - صلى الله عليه وسلم - موقع الماء فتحكم المسلمون في مصادره وحرموا قريشاً منه.

* الأمر الثالث: قيادة هذا الجيش ومن معها من أشراف مكة: تُعد معرفة قيادة أي جيش أمراً ضرورياً لتقدير الموقف العسكري المناسب معها.

وقد تبين للرسول - صلى الله عليه وسلم - أن قيادة هذا الجيش غير موحدة، كما أفادت هذه المعلومات المسلمين عن شيء آخر حيث عرفوا أسماء الخارجين من أشراف قريش فأنزلوا كل واحد منهم منزلته اللائقة به^(١).

ومن الأمثلة على ذلك أن أبا جهل - لعنه الله - كان يسوم المسلمين سوء العذاب بمكة ولهذا حرص المسلمون على قتله.

فعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه قال: (بينما أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أنا أكون بين أضلع^(٢) منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب^(٣) أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس

(١) انظر: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول - ص ٢٥٧، ٢٥٩، والمدرسة العسكرية الإسلامية - ص ٤٧٦.

(٢) أضلع: أي بين رجلين أقوى من الرجلين اللذين كنت بينهما وأشد. النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٧/٣؛ وانظر لسان العرب ٥٤٣/٢.

(٣) أنشب: أي لم ألبث، والمعنى أنه لم يشتغل بغيره ولا تعلق بشيء سواه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٢/٥؛ ولسان العرب ٦٣٣/٣.

فقلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبراه فقال: (أيكما قتله)؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: (هل مسحتما سيفيكما)؟ قال: لا، فنظر في السيفين فقال: (كلاكما قتله، سلبه (١) لمعاذ بن عمرو بن الجموح)، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح (٢).

وكذلك الأمر بالنسبة إلى أمية بن خلف فقد كان بلال بن رباح - رضي الله عنه - حريصاً على الانتقام منه جزاءً تعذيبه له في مكة، فلما أبصره بلال في المعركة صمم على قتله حتى تحقق له ما أراد.

روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: كاتبتُ أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي^(٣) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت (الرحمن) قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبتُه عبد عمرو.

(١) السلب في اللغة: هو ما يسلب، يقال: سلبه الشيء يسلبه سلباً وسلباً إذا اختلسه منه وهو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة. انظر: لسان العرب ١٧٧/٢؛ وتاج العروس ٣٠٠/١.

والسلب في الاصطلاح: ما كان القتل لابساً له من ثياب وعمامة وقلنسوة ومنطقة ودرع ومغفر وبيضة وتاج وأسورة وخف وما كان عليه من حلية وما معه من سلاح ودابة. انظر: المغني لابن قدامة ٢٣٧/٩؛ والمحرم في الفقه ١٧٥/٢؛ والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً - ص ١٧٩، تأليف سعدي أبو جيب، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٢هـ)، دار الفكر بيروت.

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب: من لم يخمس الإسلام ومن قتل قتيلاً فله سلبه، ح (٣١٤١)، فتح الباري ٢٤٦/٦. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب قتيله ح (١٧٥٢) صحيح مسلم ١٣٧٢/٣.

(٣) صياغة الرجل: هم خاصته والمائلون إليه. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٣/٣؛ ولسان العرب ٤٤٥/٢.

فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: أبرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتجللوه^(١) بالسيوف من تحتي حتى قتلوه وأصاب أحدهم رجلي بسيفه^(٢).

وقد استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه المعلومات - أيضاً - في معرفة بعض الشخصيات التي خرجت مكرهة للقتال أمثال بني هاشم، وأبي البخترى بن هشام. وهذه الشخصيات نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتلها. فعن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من استطعت أن تأسروا من بني عبد المطلب فإنهم خرجوا كرهاً)^(٣).

كما نهى عن قتل عمه العباس بن عبد المطلب لأنه خرج للقتال مستكراً^(٤) بدليل قوله للرسول صلى الله عليه وسلم: (إني قد كنت مسلماً قبل ذلك وإنما استكروني)^(٤).

(١) هذه اللفظة وردت بروايتين:

الأولى: بالحجم المعجمة والمعنى غشوه.

الثانية: بالخاء المعجمة ومعناها أدخلوا أسيافهم خلاله حتى وصلوا إليه وطعنوه بها من تحتي. انظر: فتح الباري ٤/٤٨٠.

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب أو في دار الإسلام جاز، ح (٣٠١)، فتح صحيح البخاري، ص ٣٦٨.

(٣) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في المسند ٨٩/١، والمسند، تحقيق شاكر، ح (٦٧٦)، ٧٧/٢، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) الحديث: أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٥٣/١، والمسند، تحقيق أحمد شاكر ح (٣٣١٠)، ١٠٥/٥، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف لجهالة راويه عن عكرمة. وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨٥/٦-٨٦، وقال بعد عزوه للإمام أحمد: وفيه راوٍ لم يسم وبقيته رجاله ثقات.

الثاني: مشروعية استشارة أهل الرأي والخبرة من الجنود وقبول مشورتهم فيما يحقق المصلحة العامة:

الشورى من عزائم الأمور ومبدأ مهم من مبادئ الدين الإسلامي. قال الله - سبحانه وتعالى - أمراً عباده المؤمنين بالشورى: (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)^(١). ولذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يشاور في الأمر إذا حدث^(٢).

وقد سئل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن معنى العزم في هذه الآية الكريمة فقال: مشاورة أهل الرأي ثم إتباعهم.

وإذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - مأموراً بالشورى مع أنه أكمل الناس عقلاً وأرجحهم رأياً فذلك لأنه لا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله - صلى الله عليه وسلم -، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا، فإنه قال - صلى الله عليه وسلم -: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)^(٣). فغيره من باب أولى بالمشاورة^(٤).

ومما ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقل ذلك إخباراً عن وحي، وهو أيضاً لم يكن يعاين ذلك ولا من بلد يعاينه أهله، لأن بلده صلى الله عليه وسلم مكة لم يكن دار نخل، وإنما كان النخل فيما سواه

(١) الآية ١٥٩، من سورة آل عمران.

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم ٤٢٠/١.

(٣) الحديث أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكر صلى

الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأي، (٢٣٦٣)، صحيح مسلم ١٨٣٦/٤.

ولهذا الحديث سبب وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلحقون النخل، فقال: لو لم تفعلوا

لصلح، فتركوه، قال: فخرج شيصاً، فمر بهم فقال: ما لحتتم؟ قال: قلت كذا وكذا قال: (أنتم أعلم...)

فذكره. انظر البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ١٧٢/٢.

(٤) انظر: التفسير الكبير ٦٦/٩: للفخر الرازي.

من المدينة التي صار إليها، وكان مع أهلها من معاينه النخل والعمل بما يصلحها ما ليس مثله مع أهل مكة.

وبهذا يتبين أن هذا أمر معقول ظاهر يتساوى فيه الناس في القول ثم يختلف ذوو العلم به عن سواهم من غير أهل العلم^(١).

قال سيد قطب - رحمه الله - مبيناً أهمية الشورى : (ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى ويحل للقيادة أن تستقل بالأمر... لكان وجود محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعه الوحي من الله سبحانه وتعالى كافياً لحرمان الجماعة يومها من حق الشورى، ولكن وجود محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعه الوحي الإلهي لم يبلغ هذا الحق لأن الله - سبحانه وتعالى - يعلم أنه لا بد من مزاولته في أخطر الشؤون ومهما تكن النتائج ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي في هذا الوقت بالذات) (٢).

وقد طبق النبي - صلى الله عليه وسلم - مبدأ الشورى في غزوة بدر، فاستشار أهل الرأي والخبرة أربع مرات:

الأولى: شاورهم في الخروج للغير ابتداء حين علم بقدمها.

الثانية: شاورهم عندما علم بخروج قريش لتدافع عن غيرها.

الثالثة: شاورهم في المنزل المناسب في بدر.

الرابعة: شاورهم في أسرى الأعداء وماذا يفعل بهم.

الثالث: ضرورة تطبيق مبدأ الكتمان:

كتمان الأسرار خلق فاضل يدعو إليه الدين الحنيف، لما فيه من المصالح الجمة، سواء أكان للأفراد أم للجماعات أم للدول.

(١) انظر: مشكل الآثار ١/٢٩٤: للإمام أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي، المعروف .

(٢) في ظلال القرآن ١/٥٠٢.

وقد دل على مشروعية الكتمان : الكتاب العزيز والسنة المطهرة:

* أما الكتاب: ففي قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} (١).

فهذه الآية الكريمة ترشد إلى وجوب إخبار أولي الأمر عن كل أمر يؤثر في المعنويات تأثيراً سيئاً ليروا فيه رأيهم، ويضعوا حداً لانتشاره وإشاعته (٢).

وذلك: أن خوض العامة في سياسة الحرب أمر معتاد، وهو ضار جداً إذا شغلوا به عن عملهم، ويكون ضرره أشد إذا وقفوا على أسرار ذلك وأذاعوا به وهم مع ذلك لا يستطيعون كتمان ما يعلمون ولا يعرفون ضرر ما يقولون، وأضره علم جواسيس أعدائهم بأسرار أمتهم.

ويدخل في ذلك الشؤون العامة التي تختص بالخاصة دون العامة، ولو أن هؤلاء أرجعوا ذلك الأمر العام - الذي خاضوا فيه - إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حياته وإلى أولي الأمر من بعده - وهم أهل الحل والعقد الذين تنق بهم الأمة في سياستها وإدارة أمورها - لبينوا لهم ما يصح إذاعته من الأخبار وما لا يصح.

فإذا كان مثل هذه الأمور لا يستنبطها إلا بعض أولي الأمر، فكيف يصح أن يكون هذا أمراً مألوفاً بين العامة يذيعون به؟ (٣).

(١) الآية ٨٣، من سورة آل عمران.

(٢) انظر: دروس في الكتمان من الرسول القائد صلى الله عليه وسلم - ص ٧، للواء الركن محمود شيت خطاب.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم الشهير بـ (تفسير المنار) ٢٩٨/٥ : للشيخ محمد رشيد رضا.

* **ومن السنة:** عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود)^(١).

فهذا الحديث يرشد إلى التحلي بصفة الكتمان، فإنه سبب في حصول المصالح ودفع المضار عن الفرد والجماعة. ويتأكد التحلي بهذه الصفة في شؤون الأمة الخاصة ومنها الأمور العسكرية مما يجب كتمانها عن الأعداء والأصدقاء على حدٍ سواء.

وقد وردت أقوال مأثورة عن بعض الصحابة والعلماء والحكماء تبين منافع الكتمان ومضار ضده.

ومن ذلك:

أ- ما قاله علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: (سرك أسيرك فإن تكلمت به كنت أسيره).

ب- وقال الماوردي رحمه الله: (اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح في وأدوم لأحوال الصلاح).

ج- كما قال كسرى أنو شروان: (من حصَّن سره فله بتحصيله خصلتان: الظفر بحاجته والسلامة من السطوات)^(٢).

وقد تحلى الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة الكتمان في عامة غزواته.

فعن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلما يريد غزوة إلا وري بغيرها...)^(١).

(١) أخرجه الطبراني في الثلاثة : انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٩٥/٨، قال الهيثمي بعد غزوه للطبراني : وفيه سعيد بن سلام العطار ... وبقية رجاله ثقات ، إلا أن خالد بن معدان : لم يسمع من معاذ.

(٢) انظر: أدب الدين والدنيا للموردي - ص ٢٩٥.

فقد دل هذا الحديث : على أنه كان من عادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - التورية في الغزو، وهي إظهار شيء وإرادة غيره^(٢). وهي من الكتمان.

وفي غزوة بدر ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تحلى بصفة الكتمان ويتجلى ذلك في الأمور الآتية:

* **الأول:** سؤاله صلى الله عليه وسلم الشيخ الذي لقيه في بدر عن محمد وجيشه وعن قريش وجيشها.

وإنما سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه وأصحابه لكي يوهم الشيخ بأنه لا علم له بجيش المسلمين مبالغة في الكتمان حتى يأمن منه ويعطيه المعلومات الضرورية التي تفيده عن تحركات جيش العدو وقد تحقق له ما أراد.

* **الثاني:** تورية الرسول - صلى الله عليه وسلم - في إجابته على سؤال الشيخ (ممن أنتما؟ بقوله صلى الله عليه وسلم: (نحن من ماء). وهو جواب يقتضيه المقام، فقد أراد به الرسول صلى الله عليه وسلم كتمان أخبار جيش المسلمين.

وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم فور استجوابه كتمان - أيضاً - وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحكمة، فلو أنه أجاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سبباً في طلب الشيخ بيان المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: (من ماء).

* **الثالث:** أمره صلى الله عليه وسلم بقطع الأجراس من الإبل يوم بدر.

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فوري بغيرها ورقمه (٢٩٤٧) صحيح البخاري، ص ٤٨٧، ٤٨٨.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١٣/٦.

فمن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر^(١).

فقد أمر صلى الله عليه وسلم بقطع الأجراس لإخفاء حركة الجيش حتى لا
يسمعه الأعداء.

وقد استمر المنع وذلك تذكير بالحكمة من مشروعية ذلك ابتداءً، كما استمر
الأمر بالرمل والاضطباع في طواف القدوم لمن حج أو اعتمر^(٢).

ولئن زال عهد استعمال الجمل في وسائل النقل، فإن الحكمة من هذا المنع
باقية إلى قيام الساعة وهي: إخفاء أصوات الجيش عن الأعداء.

وإذا كان الكتمان في ذلك العصر واجباً فإنه يتأكد وجوبه في هذا الزمان
الذي كثرت فيه آلات التجسس لمعرفة أدق المعلومات المتعلقة بالشؤون
العسكرية.

* الرابع: كتمان صلى الله عليه وسلم خبر الجهة التي يقصدها عندما أراد
الخروج إلى بدر، حيث قال -صلى الله عليه وسلم -: (... إن لنا طلبه فمن كان
ظهره حاضراً فليركب معنا...) (٣).

وقد استدلل الإمام النووي بهذا الحديث على استحباب التورية في الحرب
وأن لا يبين القائد الجهة التي يقصدها لئلا يشيع هذا الخبر فيحذرهم العدو^(٤).

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٠/٦ ، قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٦١/٣ : (وهذا على شرط الصحيحين).

(٢) انظر: مرويات غزوة بدر - ص ١٠٠ : للشيخ احمد محمد العليمي باوزير .

(٣) هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في تاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد ورقمه (١٩٠١) صحيح مسلم ١٥٠٩/٣ ، ١٩٥٠١٠ .

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٤٥/١٣ .

الرابع: حماية القائد من متطلبات النصر في المعركة

للقيادة العسكرية أهمية كبرى، سواء أكان في سير المعركة أم نتائجها. وقد درجت الجيوش المتحاربة إلى الوصول للقائد، لأن في قتله تحقيقاً للنصر بأقصر طريق وأقل ثمن.

كما أن قتل القائد - أيضاً - قضاءً على الركن الأساسي الذي يعتمد عليه الجنود - بعد الله - وينضون تحت لوائه ومن ثم يكون حلول الهزيمة أمراً لا مفر منه.

ولهذا فإنه يلاحظ أن الدين الإسلامي أولى هذا الأمر عناية تامة في أول لقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين. فقد اتخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - عريشاً لحمايته من كيد الأعداء وليكون صلى الله عليه وسلم قدوة لمن بعده في محافظة الجيش الإسلامي على حياة قائده (١).

قال ابن كثير رحمه الله: (وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرض أصحابه ... سعد إلى العريش - أيضاً - ومعه أبو بكر ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ومعهم السيف خيفة أن تكرر راجعة من المشركين إلى النبي صل الله عليه وسلم) (٢).

قال ابن حجر رحمه الله عند شرحه لقوله -صلى الله عليه وسلم -: (ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة...). (وإنما عانى النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك مع قوة توكله للاستئان به في ذلك) (٣).

(١) انظر الرسول القائد - ص ١١٥ ؛ العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول - ص ٢٦٣؛ غزوة بدر

الكبرى - ص ٦٦ : للدكتور/ محمد عبد القادر أبو فارس، ومرويات غزوة بدر - ص ١٨٤.

(٢) البداية والنهاية ٢٨٤/٣، لأبي الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي.

(٣) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ٨٢/٦.

الخامس: مشروعية الأخذ بالأساليب الجديدة في القتال:

ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوباً جديداً في القتال، لم يكن معروفاً من قبل، حيث قاتل بنظام الصفوف.

وصفة هذا الأسلوب: أن يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعاً لقلّة المتقاتلين أو كثرتهم.

وتكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصدّ هجمات الفرسان وتكون الصفوف التي خلفها من أصحاب النبال، لتسديدها على المهاجمين من الأعداء.

ويتميز هذا الأسلوب بالميزات الآتية:

الأولى: أن في هذا الأسلوب إرهاباً للأعداء، كما أنه يدل على حسن التدبير والنظام.

وقد أثنى الله - سبحانه وتعالى - عليه في كتابه العزيز فقال تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)^(١).

الثانية: أن استخدام هذا الأسلوب يجعل في يد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف الطارئة، كأن يصد هجوماً مضاداً للعدو أو يضرب كميناً غير متوقع أو يحمي الأجنحة التي يهددها العدو بفرسانه أو مشاته.

الثالثة: أنه يؤمن سيطرة القائد على جميع جنده ويمكنه من استغلال طاقاتهم للمصلحة العامة.

وإن من الأسباب الرئيسة لانتصار المسلمين يوم بدر - بعد مشيئة الله - استخدامهم أسلوب الصفوف.

(١) الآية ٤ من سورة الصف.

ويعد تطبيق هذا الأسلوب ، لأول مرة في غزوة بدر سبقاً عسكرياً تميزت به المدرسة العسكرية الإسلامية على غيرها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان^(١).

السادس: توحيد قيادة الجيش له أثر في كسب المعركة والفوز بها:

إن توحيد قيادة الجيش يعد ذا أثر فعال على سير المعركة التي تباشر إدارتها وذلك أن الجنود ينضون تحت لوائها ويصدرون عن أمرها فهي التي تأمر وتنتهى وتوجه حسبما يوجد في ذلك من المصالح العامة.

وقد باشر النبي صل الله عليه وسلم قيادة جيش المسلمين في معركة بدر وفي ذلك يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب:

(كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القائد العام للمسلمين في معركة بدر، وكان المسلمون يعملون يداً واحدة تحت قيادته يوجههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم...)^(٢).

أما المشركون فلم تكون قيادتهم في هذه المعركة موحدة بل كان يسودها الشقاق وكل رجل من سادات قريش كان يظهر بمظهر الزعيم لهذه المعركة وذلك من باب الرياء والفخر.

وكان أبرز قادة هذه المعركة - فيما يظهر - رجلان هما عتبة بن ربيعة وأبو جهل - لعنهما الله - وقد كانا إلى العداوة أقرب منهما إلى الإخاء^(٣).

(١) انظر المدرسة العسكرية الإسلامية - ص ٤٤٤ ؛ الرسول القائد - ص ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ٤٦٢ ، العبقريّة العسكرية الإسلامية - ص ٣٠٦ ، الفن الحربي في صدر الإسلام - ص ٢٣٨ ،

غزوة بدر الكبرى - ص ٦١ لمحمد عبد القادر أبو فارس؛ وغزوة بدر الكبرى - ص ١٢٥ ؛ مختصر في

سياسة الحروب - ص ٣٤ ؛ أمتاع الأسماع للمقريزي ٧٩/١.

(٢) الرسول القائد - ص ١١٤.

(٣) انظر المرجع السابق - ص ١١٥.

والدليل على هذا تلك المهاترات التي دارت بينهما والتي تنبئ عن الأحقاد والضغائن التي يكنها كل واحد منهما للآخر .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزل المسلمون وأقبل المشركون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر، فقال: (إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر أن يطيعوه يرشدوا)).

وهو يقول: يا قوم اطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا.

فقال أبو جهل: انتفخ^(١) والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور ولو قد التقينا.

فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إنني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي وكأن وجوههم السيوف. ثم دعا أخاه وابنه فخرج يمشي بينهما ودعا للمبارزة^(٢).

فقد ظهر بينهما الشقاق فعتبة يكره الخروج بينما أبو جهل يصمم عليه.

(١) انتفخ والله سحره: أي رثته. وهي كلمة تقولها العرب للجبان. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٤٦/٢؛ لسان العرب ١٠٧/٢.

(٢) الحديث أخرجه البزار. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧٦/٦. قال الهيثمي بعد غزوه للبزار: رواه ثقات. وأورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ٣١٣/٢. قال البزار: (لا نعلم يرويه بهذا اللفظ إلا ابن عباس ولا له إلا هذا الطريق، ولا أسنده إلا يزيد بن هارون، وحدث به مرة مسنداً وحدث به في الكتب مرسلًا، وي زيد حازم لم يسند غير هذا الحديث).

وفي صحيح البخاري : وردت قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف واستنفار أبي جهل الناس وعزمه على أمية في الخروج ، وهي تدل على أن أمية خرج مكرهاً^(١).

كما رجع الأخنس بن شريق ببني زهرة و لم يقاتلوا مع جيش مكة ، ثم إن طالب بن أبي طالب خرج مكرهاً على القتال ، فرجع إلى مكة مع من رجع^(٢).
وقد أثرت هذه القيادة التي كان يسودها الشقاق وتتنازعها الأهواء على سير المعركة وعلى نتائجها ، فحاققت الهزيمة بجيش قريش.

وصدق الله العظيم حيث يقول: (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)^(٣).

فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن التنازع، ومن أبرز مظاهره: اختلاف الآراء التي تكون عاقبته الخذلان والفسل.

ولا يحصل هذا إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه^(٤). وقد ذكر العز بن عبد السلام - رحمه الله - : أنه لا يجوز أن يجمع في الولاية العظمى بين واليين لما يؤدي إليه ذلك من الفساد فيقول:

(إذا شغل الزمان عن من له الولاية العظمى وحضر اثنان يصلحان للولاية: لم يجر الجمع بينهما، لما يؤدي إليه من الفساد باختلاف الآراء، فتتعطل المصالح بسبب ذلك، لأن أحدهما يرى ما لا يرى الآخر، من جلب المصالح ودرء المفاسد)^(٥).

(١) انظر: قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف في فتح الباري ٢٨٢/٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٨/٢؛ وتاريخ الطبري ٤٣٨/٢ ، ٤٣٩.

(٣) سورة الأنفال : آية ٤٦.

(٤) انظر في ظلال القرآن ١٥٢٨/٣ ، ١٥٢٩.

(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٧٠/١.

وجميع ما ذكره العز - رحمه الله - ينطبق على إمارة الجيش، بل إن هذه أخطر من حيث الحاجة إلى حسم المواقف الطارئة التي تستدعي سرعة البت فيها وإصدار القرارات المناسبة بشأنها ، وهذه الأمور لا تتحقق عند تعدد القادة. أما تعدد القيادات فهو من أسباب تمزق الجيش وذهاب ريحه وبذلك يصير لقمة سائغة أمام عدوه.

السابع: مراعاة القائد ظروف جنده التي تمنعهم من المشاركة في القتال:

من رحمه الله بعباده أنه لم يكلفهم فوق طاقتهم، قال الله تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ...) (١).

ومن القواعد التي قررها الفقهاء والأصوليين أن المشقة تجلب التيسير (٢)، وقالوا أيضاً: الطاقة شرط التكليف (٣).

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكلف المسلمين فوق طاقتهم، سواء أكان ذلك في السلم أو الحرب.

وفي غزوة بدر أعفى النبي صل الله عليه وسلم بعض الصحابة لأن ظروفهم الأسرية تتطلب منهم القيام عليها ورعايتها. فقد أعفى عثمان بن عفان رضي الله عنه من الخروج يوم بدر لأن زوجه رقية كانت مريضة وهي بحاجة إلى من يرعى شؤونها.

روى البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبر عن سبب تغيب عثمان رضي الله عنه عن غزوة بدر، فقال رضي الله عنه:

(١) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) انظر هذه القاعدة في الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٧٤؛ والأشباه والنظائر للسيوطي ، ص ٨٤.

(٣) انظر المستصفي من علم الأصول ١/٨٦ : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وشرح الكوكب المنير (١/٤٨٤) للشيخ محمد بن أحمد الفتوح المعروف بابن النجار، تحقيق د/ محمد الزحيلي ود/ نزيه حماد.

(...) وأما تغييبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه...) (١).

وأمر صلى الله عليه وسلم أبا أمامة بالبقاء عند أمه حيث كانت مريضة وهي بحاجة إليه، فعن أبي أمامة بن ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرهم بالخروج إلى بدر وأجمع الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة بن نيار: أقم على أمك، يا ابن أختي، فقال له أبو أمامة: بل أنت فأقم على أختك، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأمر أبا أمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة، فقدم النبي صل الله عليه وسلم وقد توفيت فصلى عليها (٢).

ويمكن حصر الظروف التي ينبغي أن يعفي فيها القائد جنده من الجهاد فيما يأتي:

أولاً: وجود ظرفٍ عائلي يلزم صاحبه القيام عليه ورعاية شأنه.

ثانياً: وجود مانع ملازم للشخص لا ينفك عنه مثل: ضعف البنية الجسدية والتي لا يستطيع صاحبها القيام بتكاليف الجهاد، ويلحق بذلك العمى والعرج.

ثالثاً: وجود أمر عارض للشخص، وذلك كأن يعرض له مرض في بدنه، أو أن يصيبه فقر لا يستطيع معه التجهز للحرب.

وذلك لأن مشاركة من لديه أحد هذه الظروف في المعركة يكون عبئاً على الجيش، لأنه حينئذ يحارب ببعضه وليس بكله، وميدان الجهاد يعتمد على المقاتل

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفضائل ، باب مناقب عثمان بن عفان بن عمرو القرشي رضي الله عنه ، ح(٣٦٩٨) فتح الباري ٥٤/٧.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . انظر مجمع الزوائد ٣١/٣.

المتكامل، ومن ثم يكون تخلف أصحاب هذه الظروف أمراً تتطلبه المصلحة العامة للجيش^(١).

وإذا أعفي هؤلاء من الخروج للجهاد، فإنهم يشاركون إخوانهم المجاهدين في الثواب متى كانت لهم مندوحة في التخلف، فقد صحَّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من حبسه عذر عن الجهاد فإنه يشارك المجاهد في الثواب.

الثامن: قتل القائد بعض الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة عامة:

عندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظافراً منصوراً بعد معركة بدر؛ كان معه كثير من الأسرى وكان من بين هؤلاء أسيران ظهرت عداوتهما لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -.

وكان من الحكمة حينئذٍ الاقتصار من هذين المجرمين اللذين كانا من أشد الناس كفراً وبعياً، وكانا من أكبر دعاة الحرب ضد الإسلام والمتربصين بالمسلمين الدوائر. وبقاؤهما يعد مصدر خطر كبير على الإسلام، ولا سيما في تلك الظروف الحاسمة التي تمر بها الدعوة الإسلامية، فلو أطلق سراحهما لما تورعا عن سلوك أي طريق فيه كيدٌ للإسلام وأهله. فقتلهما في هذا الظرف ضرورة تقتضيها المصلحة العامة لدعوة الإسلام الفتية^(٢).

كان أن في قتلهما شفاءً لغيظ المسلمين الذين لاقوا منهما ومن أمثالهما المتاعب الكثيرة في مكة قبل الهجرة.

أما الأول: فهو النضر بن الحارث بن علقمة، وهو ابن خالة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، وهو صاحب

(١) انظر: العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول، ص ٦٤٥.

(٢) انظر: غزوة بدر الكبرى ص ١٦٢ لمحمد أحمد باشمیل.

لواء المشركين يوم بدر، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء^(١) أمر بقتله، فقتله علي بن أبي طالب.

وأما الثاني: فهو عقبة بن أبي معيط، وقد عرف بعداوته الشديدة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأمر علي بن أبي طالب بقتله جزاء جرمه^(٢).

ومن صور إيذائه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ما يأتي:

أولاً: ما ثبت في الحديث الصحيح من أنه قام بوضع سلى الجزور فوق ظهر النبي صل الله عليه وسلم وهو ساجد . فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: (بينما النبي صل الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش من المشركين إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور وقذفه على ظهر النبي صل الله عليه وسلم، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة - عليها السلام - فأخذت من ظهره ودعت على من صنع ذلك ...) ^(٣) الحديث.

ثانياً: ما رواه حماد بن سلمة عن عطا بن السائب، عن الشعبي، قال: لما أمر النبي صل الله عليه وسلم بقتل عقبة بن أبي معيط، قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: (نعم، أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران..) ^(٤).

(١) الصفراء : وادٍ كثير النخل والزرع والخير، ويعرف اليوم بـ (الواسطة) وهو على بعد (٥١) كيلاً من المدينة، وينتهي على مسافة (١٦٣) كيلاً منها، ثم يدفع في البحر على آثار مدينة الجار . انظر معجم البلدان ٤١٢/٣؛ ومعجم معالم السيرة النبوية ص ١٧٦.

(٢) انظر البداية والنهاية ٣/٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيفة المشركين في البئر ولا يؤخذ لهم ثمن، ح (٣١٨٥)، فتح الباري ٦/٢٨٢. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صل الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، ح (١٧٩٤)، وصحيح مسلم ٣/١٤١٨.

(٤) البداية والنهاية ٣/٣٠٦، وهذه القصة سندها مرسل.

وأما الدليل على قتله فهو ما رواه أبو داود بسنده، قال: (أراد الضحاك بن قيس أن يستعمل مسروقاً فقال له عمارة بن عقبة: اتستعمل رجلاً من بقايا قتلة عثمان؟ فقال له مسروق: حدثنا عبد الله بن مسعود وكان في أنفسنا موثوق الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم - لما أراد قتل أبيك، قال: (من للصيبة؟ قال: النار) ^(١) فقد رضيت لك ما رضي لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ^(٢).

وقد استدل الإمام الخطابي - رحمه الله - بقصة قتل عقبة بن أبي معيط على جواز قتل قائد الجيش للأسير إذا تحقق من وراء ذلك مصلحة ^(٣).

ولا شك في أن قتل هذين الأسيرين: فيه مصلحة كبيرة ، تتمثل فيما يلي:

أولاً: كسر شوكة أهل البغي والعدوان ولا سيما في ذلك الظرف الذي كانت تعيشه الدعوة الإسلامية.

ثانياً: شفاء صدور المسلمين وارتفاع معنوياتهم حيث يتقون تمام الثقة أن الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لمن حارب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين فيدفعهم ذلك إلى الصبر وتحمل أذى الأعداء.

خاتمة البحث :

الحمد لله الذ بنعمته تتم الصالحات وبعد:

(١) قوله صلى الله عليه وسلم: (النار) المراد به: الاستهزاء، وفيه إشارة إلى ضياع أولاده. وذكر الطيبي أن المعنى يحتمل أحد وجهين :

الأول: أن النار هنا عبارة عن الضياع.

الثاني : أن هذا الجواب من الأسلوب الحكيم، أي : لك النار، ودع أمر الصيبة فإن كافلهم هو الله عز وجل. انظر سنن أبي داود ١٣٦/٣.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في قتل الأسير صبراً ، ح (٢٦٨٦)، سنن أبي داود ١٣٥/٣. وهو حديث حسن.

(٣) انظر معالم السنن للخطابي ٢٨٩/٢.

فقد تبين لي من هذا البحث النتائج التالية:

- ١ - أهمية توافر المقومات الذاتية في القيادة سواء كانت إدارية أو عسكرية حتى يتحقق لها النجاح.
 - ٢ - أن القيادة لأي جماعة تعد ضرورية حتى تؤدي هذه الجماعة وظيفتها بصورة سليمة، ومن جانب آخر تسلم من الفوضى والسلبية.
 - ٣ - أن القيادة العسكرية تقوم على مبادئ أساسية لا بد منها لنجاح مهمة القائد، وقد كانت هذه المبادئ متوافرة في شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخاصة في حياته العسكرية.
 - ٤ - أن القيادة العسكرية لها صنفان: القيادة الإرغامية، والقيادة الإقناعية، وقد جمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قيادته العسكرية بين هذه الصنفين ففي بدر شاور الصحابة في الخروج، وفي صلح الحديبية أصر على كتابة صلح الحديبية لأن المصلحة تقتضي ذلك.
 - ٥ - أن قيادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - العسكرية في الغزوات تشتمل على دروس قيادية مهمة ينبغي على قادة الأمة الإسلامية في الجوانب العسكرية الوقوف عليها والاستفادة منها.
- وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

- ١- إنحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين: تصنيف العلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، المشهور بمرتضى. ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٢- الإسلام والنصر: للواء الركن محمود شيت خطاب - الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) ط. دار الفكر.
- ٣- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان (٩٢٦-٩٧٠هـ): للشيخ زين العابدين بن إبراهيم بن يحيى. المشهور بأبن نجيم الحنفي، تحقيق وتعليق عبدالعزيز محمد الوكيل. الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للتوزيع (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).
- ٤- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: للشيخ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٥- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر، الشهير بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ). تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦هـ.
- ٦- إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك: للشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي (٨٣٤ - ٩١٤هـ). بتحقيق أحمد بو طاهر الخطابي. ط. مطبعة فضالة المحمدية سنة ١٤٠٠هـ.
- ٧- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧هـ). الناشر زكريا يوسف - مطبعة الإمام بالقاهرة. وأيضاً الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ - مطبعة الجمالية بمصر.
- ٨- البداية والنهاية - لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - الطبعة

- الأولى (١٩٦٦م) ط. مكتبة المعارف - بيروت - لبنان، مكتبة النصر.
- ٩- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف: للسيد الشريف إبراهيم بن محمد بن كمال الدين، الشهير بابن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي. حققه وعلق عليه الدكتور حسين عبدالمجيد هاشم. ط. دار التراث العربي للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٧٣م.
- ١٠- تفریح الكروب في تدبير الحروب: لعمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري. تحقيق وترجمة د/ جورج مكانلون. الناشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٣٨١هـ - مطابع دار المعارف بمصر.
- ١١- تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان (سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م).
- ١٢- تفسير القرآن الكريم (الشهير بتفسير المنار): للشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ).
- ط. الثانية بالأوفست - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
- ١٣- التفسير الكبير: للفخر الرازي. الطبعة الثانية (بدون تاريخ) الناشر دار الكتب العملية - طهران - إيران.
- ١٤- الجيش العربي الإسلامي في التخطيط السوقي الاستراتيجي (لرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين): نظرة عصرية: للمقدم درع حازم إبراهيم العارف. ط. دار الرشيد للنشر والتوزيع - الرياض سنة ١٤٠٢هـ.
- ١٥- خاتمة مجامع الحقائق: لأبي سعيد محمد بن محمد الخادمي. ط. المطبعة العامرة - استانبول - تركيا سنة ١٣٠٨هـ.
- ١٦- درر الأحكام شرح مجلة الأحكام: تأليف علي حيدر. تعريب المحامي فهمي الحسيني. منشورات مكتبة النهضة - بيروت، بغداد.
- ١٧- دروس في الكتمان من الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - للواء الركن

محمود شيت خطاب. دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. الطبعة الأولى (١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م).

١٨- رياض الصالحين: تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١-٦٧٦هـ). حققه وخرّج أحاديثه عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق.

راجعته شعيب الأرنؤوط. ط دار المأمون للتراث - دمشق (بدون تاريخ).

١٩- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي الصالحي الدمشقي - تحقيق مصطفى عبدالواحد - ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة (١٣٩١هـ - ١٩٧١م).

٢٠- سنن أبي داود: للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٥٧هـ)، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي (٣١٩-٣٨٨هـ)، وهو شرح عليه. إعداد وتعليق عزت عبدالعاس. الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ.

٢١- السيرة النبوية (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم): لأبي محمد عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨هـ). راجع أصولها وضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهرسها محمد محي الدين عبدالحميد. ط. دار الفكر - بيروت (بدون تاريخ).

٢٢- شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني: إملاء محمد السرخسي. تحقيق صلاح الدين المنجد. مطبعة شركة الإعلانات الشرقية سنة ١٩٧١م.

٢٣- شرح العقيدة الطحاوية - للفاضل علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢هـ). صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وقدم له الدكتور / عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شعيب الأرنؤوط. نشر مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)

٢٤- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير: للعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢هـ). تحقيق الدكتور ومحمد الزحيلي والدكتور نزيه حماد. ط. دار الفكر بدمشق - نشر مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى سنة ١٤٠٠هـ.

- ٢٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي. الطبعة الأخيرة (سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م). ط شركة متبنة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٢٦- صحيح مسلم: لإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦هـ - ٢٦١هـ). حقق نصوصه وصححه ورقمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي الشيخ محمد فؤاد عبدالباقى. ط دار إحياء التراث العربي.
- ٢٧- العبقرية العسكري في غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - للواء محمد فرج. الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧م. طبع ونشر دار الفكر العربي بالقاهرة.
- ٢٨- غزوة بدر الكبرى: للشيخ محمد أحمد باشميل. الطبعة السادسة (سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ط. دار الفكر.
- ٢٩- غزوة بدر الكبرى: للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس. دار الفرقان للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- ٣٠- في ظلال القرآن: لسيد قطب. ط. دار الشروق - بيروت (سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).
- ٣١- القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. الطبعة الثانية سنة ١٣٧١هـ. طبع ونشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٣٢- قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام مع شرحه إيضاح الفوائد في شرح القواعد: لمحمد بن الحسن الحلبي - الحسن بن يوسف الحلبي. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ. ط. المطبعة العلمية.
- ٣٣- القيادة: لقائم مقام عبدالنواب هديب والسيد محمود زكي. الناشر دار الفكر العربي (بدون تاريخ).
- ٣٤- القيادة الإدارية في الإسلام - تأليف عبدالشافى محمد أبو العينين أبو الفضل

- الناشر المعهد العالمي للكفر الإسلامي - هيرندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية - الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٣٥- القيادة والجنديّة في الإسلام (القسم الأول القيادة): للدكتور محمد السيد الوكيل. ط. دار الأنصار - بالقاهرة - سنة ١٤٠٠هـ.
- ٣٦- القيادة وفعاليتها في ضوء الإسلام: للدكتور ماهر البقري. الناشر مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية (سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- ٣٧- كشف
- ٣٨- لسان العرب: لابن منظور. قدم له عبدالله العلايلي. إعداد وتصنيف يوسف خياط. ط. دار لسان العرب - بيروت.
- ٣٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة (٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر. الطبعة الثالثة (سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م). نشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ٤٠- مختار الصحاح: للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٦٩م.
- ٤١- مختصر شعب الإيمان - للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨).
- ط. إدار الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية (١٣٥٥هـ).
- ٤٢- مختصر في سياسة الحروب: للهرثمي صاحب المأمون. تحقيق اللواء عبدالرؤوف عون. مراجعة مصطفى زيادة. ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بالقاهرة.
- ٤٣- المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية: اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة (بدون تاريخ).

- ٤٤- المدرسة العسكرية الإسلامية: للواء محمد فرج. الطبعة الثانية - ملتزم الطبع والنشر - دار الفكر العربي.
- ٤٥- المستدرک على الصحیحین: للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). وبذيله التلخیص للحافظ الذاهبي - رحمهما الله - . ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان. الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب (سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
- ٤٦- المستصفي من علم الأصول: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. وبذيله فواتح الرّحموت بشرح مسلم الثبوت. الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢هـ - الطبعة الأميرية بولاق.
- ٤٧- المسند: للإمام أحمد بن حنبل. وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال. ط. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت.
- ٤٨- المسند: للإمام أحمد بن حنبل. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط دار المعارف سنة ١٣٦٨هـ بالقاهرة.
- ٤٩- معجم البلدان: لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي. الناشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر (سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م). معجم معالم السيرة النبوية.
- ٥٠- المعجم الوسيط: إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قام بإخراجه الأساتذة إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار. وأشرف على طبعه الأستاذ/ عبدالسلام هارون. ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ٥١- مقدمة ابن خلدون: للعلامة عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ). طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة (بدون تاريخ).
- ٥٢- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ). تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم

القاروط. نشر دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٣- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: تأليف نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ). بتحقيق محمد عبدالرزاق حمزة. ط المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة (بدون تاريخ).

٥٤- النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦هـ). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطانحي. الناشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٥٥- نيل الأوطار منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار - صلى الله عليه وسلم - للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني - الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩١هـ. الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٥٦- ومضات من نور المصطفى - صلى الله عليه وسلم - للواء الركن محمود شيب خطاب. الطبعة الثانية (سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). ط دار الاعتصام بالقاهر).